

العيافة عند عوام العراق

Les Augures chez les Irâquiens.

العيافة مشتقة من عفت الطير وغيرها من السوانح اعنيها عيافة : زجرتها وهو ان تغتبر بأسمائها ومساقطها وممرها واصواتها فتتسعد او تتشأم والمائف : المتكهن بالطير او غيرها من السوانح ويقال له الزاجر ايضاً (ملخص عن الغويين). والذي عندنا ان العيافة مشتق من (العوف) كما ان البوابة مشتقة من الباب - والعوف هو الطائر (وفي كتب اللغة طائر . وهذا وهم عندنا) كما ان الأفرنجية Augure مشتقة من Avis gurere اي اختبار العوف أو الطائر واستشارتها كما في العربية .

وكان السلف كثيراً ما يصف الطير وهكذا كانت سائر الأمم مولعة بالعيافة كما هو شأن جميع الأقسام غير المتوردة والأقما اثر هذه الحيوانات على اختلاف انواعها في امور الناس وهم يخبرون في اعمالهم ولا صلة تصلهم بما يحيط بهم . ومن الأمم المولعة بالعيافة الرومان فانهم كانوا اشد الناس حرصاً على معرفة المستقبل وما يكون في مطاويهم من سد . ونحس بالنظر الى حركات الطير على اختلاف انواعها .

والأمم مهما ارتقت تكون فيها طبقتان : طبقة عالية وهي طبقة الخاصة ، وطبقة منسحطة او ساقلة وهي طبقة العامة . والعوام في جميع البلاد والديار والامصار مولعون بالعيافة أو الزجر . ولما كان صديقنا العزيز احمد حامد أفندي الصراف من متتبعي آداب طبقات الناس والباحثين عن اخلاقهم ، طلبنا اليه ان يتحققنا بما يعلم عن عيافة العوام في العراق . فكتب لقراء لغة العرب هذه المقالة الشاققة وقسمها الى اربعة اقسام : قسم الحيوانات ، وقسم الطيور ، وقسم الحشرات ، وقسم الأشجار . فقال : «لغة العرب»

١ - عيافة الحيوانات

الخراف

الخرافيون من الرجال يتفانون بروية الخراف عند الصباح ، معتقدين

ان رؤية الغنم (غنيمة) ؛ واذا شاهد احدهم قطعيا وجب ان يعد منه سبع
فجاج حمر . وإلا أصابه مكروا في يومه .

والطفل الذي يبكي كثيرا تأخذ له امه الى قطع من الغنم فتمشي امامه امام
القطع (بسرعة وتقول : « يا عجة ، اخذي الحجة » اي ايها العجاج خذ
اللجاج ، معتقدة ان هذه القطعة تجعل الولد هادئا لا يبكي ولا يصيح .

ومن امثال العوام : « فلان صار خروف » اي خرف وهذى وهرم .
ومنها « فلان مثل التعجة » يقال للرجل الماجز الجبان .

الكلب

كان العربي الجاهلي يحب الكلب ويضرب المثل بوفائه بل مدح احد
السلف في صدر الاسلام الخليفة بقوله :

انت كالكلب في احتفاظك للود و كالكلب في قراع الخطوب
و كنت اذا اراد احدهم مدح آخر ونعته بالكرم قال : « فلان جبان
الكلب » واخبار هذا الحيوان الامين كثيرة في كتب الادب .

اما المسلمون فيعدونه نجسا (١) لحديث ورد عن النبي (ص) قوله : اذا
ولغ الكلب في اناه احدكم فاعسلوه سبعا احداهن في التراب .

اما الان فيتشام منه عامة الجهلة من نساء ورجال ولا سيما حين
يعوي عواء الذئب فيكثر من عواته فينبهونه حينئذ بقولهم له : « محوم بالله هلك
هلك عود » اي « انت مردود بهوت الله الى اهلك اهلك نموذ بالله منك »
وبعضهم لا يتردد في قتل مثل هذه الكلاب تخلصا من شرها .

اما الذي ينبع تباحا عاريا فلا يتشام منه ؛ واذا نح الكلب في وجه طفل
(واخترع) اي ارتعب اخذوا شعرات منه واحرقوها تحت ثياب الطفل .
واذا عض الكلب احدهم اخذوا من اصحابه (خمرة) اي عجينة وملحا ووضعوها
على المكان المعضوض فيبرأ على ما يزعمون ! والاعراب العاشقون في البساتين
والحقول يتهاقون على اقتنائها لانه يعرض غنمهم ومواشيهم ليل .

ومن امثال العوام « اذا كانت حاجتك عند الكلب قل له حاج كليان » اي

(١) وقد ألف الاديب الاممي الحاج عبد اللطيف جليبي تبيان رسالة في طهارة الكلب وهي

من احسن ما جاء في هذا الباب



کتابخانه عمومی
مركز الدراسات والبحوث اسلامی

عظمه بالالتعاب الضخمة لتعال بيتك ، ومنها : « مثل كلب المبلل » يقال لمن يتورط في امر ، ومنها : « طردوا طرد الكلب من الجامع » ومنها : « مثل كلب المكلوب » يقال ان يعربد ويصخب ويشاغب كثيرا .

الهر

لا يتشام منه الناس ولا يتفألون به اما اذا شوهد يمسح وجهه بيديه . وخصوصا اذا امرها فوق اذنيه قالت النساء سيجيشا ضيف واذا تقالقت القططة وقام احد سكان البيت وضربها قالوا : سيصيه اذى في يومه .

واليهود في العراق يكرهون القططة كرها عظيما ولا يترددون لحظتها في قتلها والمشهور عن الهر انه يأكل فراخه والهدا المعنى اشار شوقي بك الشاعر مشبها الشمس بالهرة فقال :

فيا لك هرة أكلت بنينا وما ولدوا وتتظر الجنينا

ومن امثال العوام : « هر المطاخ » يقال لمن فيه سم .
ومن امثالهم « عداوة الجريري والبزون » اي عداوة الجرذ والهر يقال ذلك عن عدوين عداوتهما قديمة مورثة . ويسمى بعض العوام (الهر) (عتوي) ويريدون به الهر الضخم ولا سيما الاسود .

ابن آوى

ويسميه العوام في العراق (الواوي) ويتفألون برؤيته واذا صاح ابن آوى ليلا يفرحون معتقدين ان سنتهم تكون سنة خير وبركات ، فاذا اكثر من صياحه وكان احد سكان البيت مريضا او أرمد او به سعال شديد او غير ذلك ، تقف احدى النساء وتأخذ بيده اليمنى طامسة مملوءة ماء وتضع يدها اليسرى على رأسها وتتقبل (القبلة) وتسكب الماء وزاها وتقول :

« ياواوي البرية خذ صخونة (١) فلان بن فلان او رمد فلان بن فلان وذيه (٢) بالبرية » والمرصعة تأخذ ولدا من اولاد ابن آوى وترضعه من ثديها معتقدة ان ذلك يطيل حياة ابنها .

ويتفأل المسافرون اذا عرض لهم ابن آوى في طريقهم
والأشئ يسميها العراقيون (بعيوة) (مصفرة) ومن امثال العوام :
(١) الصخونة في لغة العوام العراقيين الحمى (٢) اي ارمه من قبل ذب يذب ذبا .

« فلان مثل واوي الحضرة » (١) ويراد بذلك المحتال الداهية.

وفي بغداد اذا قال احدكم للاخر (واوي) غضب منها صامعها وقد شاهدت في بغداد الصبيمة يركضون وراء الصعاليك وهم يعطرونهم وابل الحجارة ويصرخون : (واوي) والصعاليك يرفعون عليهم هراواتهم مهددين اياهم بالبطش والفتك

الذئب

حيوان لا يشام منه، والنساء يعتقدن ان الذي يحمل عليه عينه المقلوعتين يصاب ياروق شديد فلا يستطيع ان ينام ومن يحمل قطعة من جلده او نابا من اتيابه او كعبا من كعاب عظامه تهزم منه الجان .
واذا وقع الطفل، او زلت قدمه صرخت النساء (الذئب ، الذئب) مستجبات به اطرد الجان لان الذئب يأكل الجان بموجب اعتقادهن كما ذكرناه في بحثنا عن الخرز .

والذئب مشهور بالفنر عند العرب القدماء واحسن من وصفه الشاعر المشهور الفرزدق حيث يقول من قصيدة له :

وانت امرؤ يا ذئب والفنر كنتما أخيين كنا ارضعا بلبان

الخنزير

حيوان مشؤوم وقد حرم لحمه على المسلمين بنص القرآن وقد حرم الفقهاء كله بجملته . إلا ان النساء يستعملن شحمه وجلده للسحر والعلاج . من ذلك انهن يعتقدن ان شحمته اذنهما تفرق بين المتحابين . وان حمل احد احدى اتيابه آمن الشر . لذلك تراهن يعلقن سنمه في عنق الطفل . ويستعمل الماء الذي يشربه لمعالجة « السعال » وداء آخر يسمى في عرف العوام « خنزيرة » وهو الخنازير ولذلك يقتني بعضهم خنزيرا لبيع من الماء الذي يشرب منه فيضمنه في القناني لهذا الغاية وقد حدثني احد يهود بغداد بان القنينة الواحدة تباع بنصف ربية وقد حققت الامر من يهود بغداد فتبين لي صحة هذا الزعم . ويعتقد الاعراب ان وجود الخنزير بين الخيل مدعاة الى سقمها .

احمد حامد الصراف

(١) الحضرة : مزروعة الحضرات وهي البقلة . وابن آوي الذي يكون فيها يتخلى في

خبرها ولا يمكن التخلص منه .